

قضايا المرأة في كتابات محمد عمارة

هاشم عبد الرزاق صالح
قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة الموصل
(قدم للنشر ٢٠٢٢/٧/١ قبل للنشر ٢٠٢٢/٩/١٥)

الملخص:

عانت المرأة المسلمة، ولعقود طويلة، من التهميش، وأبعادها عن المشاركة في البناء الاجتماعي، فضلاً عن النشاط السياسي، نتيجة فهم خاطئ لتعاليم الدين. أو بسبب العادات والتقاليد والاعراف الاجتماعية. فتحوّلت نظرة المجتمع للمرأة إلى ثوابت دينية واجتماعية غير قابلة للنقض؛ لذلك سعى عدد من المفكرين الإسلاميين إلى تفعيل دور المرأة ومكانتها المتميزة في المجتمع. وكان أبرز هؤلاء الدكتور محمد عمارة الذي احتلت قضايا المرأة حيزاً كبيراً في كتاباته ومواقفه الفكرية والاجتماعية. فتمثلت كتاباته، التي ألفها في الربع الأخير من القرن العشرين، النموذج الإسلامي الوسطي المعبر عن موقف الإسلام من المرأة، انطلاقاً من نصوص الشريعة الإسلامية المتمثلة بالقران الكريم والسنة النبوية. كما اثارت مؤلفاته اهتمام العلماء والمتابعين لشؤون المرأة وقضاياها.

الكلمات المفتاحية: المرأة، المساواة، محمد عمارة، تحرير المرأة، الفكر الإسلامي

Women's issues in the writings of Muhammad Emara

Summary of the Study

For decades, Muslim women have suffered from marginalization and lack of participation in social construction, as well as political activity, as a result of a misunderstanding of the teachings of religion. Or because of customs, traditions and social norms. Therefore, a number of Islamic thinkers sought to activate the role of women and their distinguished position in society. The most prominent of these was Dr. Muhammad Emara, who occupied a great deal of women's issues in his writings and his intellectual and social stances.

key words : Women, equality, Muhammad Emara, women's liberation, Islamic thought

المقدمة :

خضعت قضايا المرأة، في العقود الماضية، لتجاذبات حادة. أذ نال هذا الموضوع اهتماماً واسعاً من جهات عديدة. وتناقضت حوله الآراء والمواقف والتصورات. وقد شكلت (قضايا المرأة) عنواناً عريضاً لدراسات معمقة تخصص بها كتّاب عرب وغربيون سلطوا الضوء خلالها على موضوع المرأة وموقف الدين والمجتمع منها. بناءً على ما ينسجم ومنطلقاتهم الفكرية ونزعاتهم الايديولوجية. وقد أستغل التيار التغريبي هذه الحالة ليرفعوا شعار (تحرير المرأة/ و تحديث المرأة). وهي شعارات خطيرة تنطوي على مضامين وافكار تنافي قيم الدين وتعاليمه. استناداً الى ذلك انطلق عدد من المفكرين للتصدي لهذا الموضوع والخوض فيه. وتبنى رجال الاصلاح والتجديد طرح مشروع نهضوي يُعيد للامة مكانتها ودورها الريادي. وجزء من هذا المشروع يتعلق بالمرأة والعمل على انصافها ومنحها الدور والمكانة التي تليق بها في المجتمع. وثمة من تصدى للرد على الشبهات التي حاولت انتقاد الاسلام وموقفه من قضايا المرأة. كان منهم الدكتور محمد عمارة، الذي يُعد من أبرز المفكرين الاسلاميين الذين تناولوا قضايا المرأة وسعوا الى ابراز مكانتها وتصحيح اوضاعها. منتقداً النموذج الغربي المتطرف في تعامله مع قضايا المرأة. ومستنداً في ذلك على النموذج الوسطي المتوازن.

وفي هذه الدراسة سنحاول تسليط الضوء على أحد المفكرين الاسلاميين، وهو الدكتور محمد عمارة. ونستعرض موقفه ودوره في توضيح ورد الشبهات التي أُثيرت حول عددٍ من القضايا المتعلقة بالمرأة. من خلال تقسيم الدراسة الى محورين رئيسيين. **حاول المحور الاول** توضيح مكانة المرأة في الفكر الاسلامي. وموقف الشريعة الاسلامية منها. فضلاً عن موقف عدد من رموز النهضة الاسلامية الحديثة. في حين تناول **المحور الثاني** التكوين الفكري والنشاط السياسي للدكتور محمد عمارة. فهو القاعدة التي انطلق منها في تحديد موقفه من قضايا المرأة وتوضيحه للملابسات والشبهات التي أُثيرت حولها. معتمدين في ذلك على مصادر متعددة. مثلت كتابات الدكتور محمد عمارة عن المرأة العمود الفقري لتلك المصادر.

- أولاً: المرأة في الفكر الاسلامي :

عندما جاء الإسلام رفع مكانة المرأة، وقضى على جميع صور الإهانة التي كانت تتعرض لها في عصور ما قبل الإسلام. وأكدت نصوص القرآن على وحدة الأصل الإنساني، وعلى المساواة بين الرجل والمرأة، فيخبرنا جل شأنه بهذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(١). كما استنكرت نصوص الشريعة الإسلامية فكرة أن المرأة عالة يُفضل التخلص منها قبل أن تكبر، كما ضمن الإسلام جميع حقوق المرأة العامة، ومنها: حقها في الميراث، حق الشهادة، حق مزاولة الأعمال المالية والتجارية، حماية سمعتها ومكانتها الاجتماعية، حرية العقيدة، فضلا عن حقها في التعبير والتملك والتعليم^(٢).

لقد جاء الإسلام ليزيل العقبات التي أقامتها العادات والتقاليد في المجتمعات العربية القديمة. وليؤكد أن مساهمة المرأة في الحياة العامة لا تقل أهمية عن مساهمة الرجل. فشاركت المرأة الرجل الصلاة في المساجد، ونقلت الحديث وبرعت في مجال الدعوة وسارت في ميادين القتال للسهر على راحة المقاتلين ومعالجة جراحهم^(٣).

إذاً يمكن القول أن ثمة حقوق أقرها الإسلام للمرأة بصورة صريحة تتعلق بكافة المجالات منها، حق الولاية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حق إبداء الرأي، حق المشاركة في غنائم الحرب، حق إجارة المحارب، حق البيعة، وغيرها من الأمور التي أتاح الإسلام من خلالها للمرأة المشاركة في جوانب سياسية معينة^(٤).

واستناداً إلى الحقوق العامة التي أقرها الإسلام للمرأة، فقد أجاز بعض المفكرين والمتخصصين بشؤون المرأة عدداً من الحقوق السياسية للمرأة منها:

- يجوز للمرأة شرعاً ان تكون عضواً في مجلس الشورى . لكونه دور رقابي ويقدم المشورة . وهو من الواجب الكفائي ، أي " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " .
- يجيز الشرع أن تتقلد المرأة كل المناصب التي يتقلدها الرجل. ولكن الفقهاء اختلفوا على منصب واحد هو رئاسة الدولة (الإمامة). إذ اشترط عدد من الفقهاء ضرورة الذكورة في الإمامة .
- عندما أكد الإسلام على إنسانية المرأة وامتلاكها الفكر والعاطفة والعقل فهي مؤهلة لأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. فلها المقدره على المساهمة في التعمير والتنمية والتغيير .
- أكد هؤلاء على أنه لا يوجد نص قاطع في الكتاب والسنة يحرم عمل المرأة السياسي . والأصل في الشيء الإباحة. وعليه فإن كل الوظائف السياسية، دون رئاسة الدولة، تعد مباحة للمرأة، شرط أن تكون مؤهلة^(٥).

واستناداً الى هذه المعطيات الشرعية والتاريخية ذهب كثير من الفقهاء المعاصرين الى جواز إدلاء المرأة بصوتها في الانتخابات منهم الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (المرأة بين الفقه والقانون) ، والدكتور محمد فؤاد عبد المنعم في كتابه (مبدأ المساواة في الإسلام من الناحية الدستورية)^(٦). ومن الفقهاء المعاصرين من أجاز أن تكون المرأة نائبة في المجالس البرلمانية . كالدكتور محمد الخالدي في كتابه (قواعد نظام الحكم في الإسلام)، والدكتور يوسف القرضاوي والاستاذ محمد عزت دروزة (المرأة في القرآن والسنة) وغيرهم. واختلف الفقهاء في حكم تولي المرأة الإفتاء والقضاء بين مجيز ومعارض^(٧) .

وتجدر الإشارة إلى أنه كان للمرأة وشؤونها حيزاً في كتابات المفكرين الاسلاميين في العصر الحديث، إذ تطرقوا إلى عدد من قضايا المرأة ، كالتعليم والعمل والمساواة. فقد دعى رفاة رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) الى ضرورة احترام المرأة ومساندتها في الحصول على الحقوق والامتيازات التي منحها لها الإسلام . ومن تلك الحقوق حقها في المساواة مع الرجل ، وحقها في التعليم. إلا أنه في الوقت ذاته عارض دخول المرأة في بعض المجالات كالأمارة والقضاء ، لأنها خاصة بالرجال دون النساء^(٨) .

أما المصلح جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) ، فقد حذر من الانسياق وراء العادات والتقاليد الغربية فيما يتعلق بالمرأة، وتحديداً قضية السفور، خوفاً من الانحراف والفجور والابتعاد عن الأخلاق الفاضلة التي تتمتع بها المرأة المسلمة؛ لذلك يفضل الأفغاني بقاء المرأة داخل بيتها ، وممارسة مهنتها السامية ، وهي تربية الأطفال وتهيئتهم ليصبحوا عناصر مفيدة في المجتمع^(٩). كما رد الأفغاني على الذين يزعمون أن للمرأة حقوقاً سياسية ، تشبهاً بما قامت به بعض نساء الرسول ﷺ ، موضحاً أن تلك حالات استثنائية وليست قاعدة عامة^(١٠) .

ويُعد الامام محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) من رواد النهضة الإسلامية الذين وجدوا أن الاسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة في الواجبات الدينية والدينية ، استناداً الى آيات قرآنية أوضحت تلك المساواة. وإنطلاقاً من ذلك دعا الشيخ محمد عبده الى ضرورة تعليم المرأة لأن في تعليمها يكون علو شأنها^(١١) .

وتعليم المرأة كذلك كان أحد مطالب الشيخ المصلح عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩-١٩٤٠)، الذي أكد على أن تعليم المرأة القيم والاخلاق الاسلامية سينعكس على أدائها في البيت والمجتمع. لكنه في الوقت ذاته رفض دعوات الاستعمار الفرنسي لما يسمى (تحرير المرأة). موضحاً أن تلك الدعوات ما هي إلا معول يسهم في هدم المجتمع الجزائري المسلم^(١٢) .

وأكد الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥) على أن الشريعة الإسلامية لم تفرق بين الرجل والمرأة في كثير من المسائل ، ومنها حق المرأة في التعليم . ويعد الشيخ رشيد رضا من العلماء الذي يُجيزون تولي المرأة كل الوظائف باستثناء الإمامة والرئاسة . واستشهد بالأعمال التي مارسها نساء النبي والصحابة سواء في الغزوات أو وقت السلم^(١٣) .

وتجدر الإشارة هنا الى أن معظم الحركات الإسلامية قد أجازت اشتراك المرأة في العملية السياسية سواء ناخبة أو مرشحة للمجالس النيابية بوصفه حقاً طبيعياً منحه الإسلام للمرأة^(١٤) . وأن جميع الحركات الإسلامية المعاصرة قد أكدت في أدبياتها على ضرورة الاهتمام بالمرأة. وأحد أوجه هذا الاهتمام هو حقها في التعليم استناداً الى نصوص ومبادئ الشريعة الإسلامية^(١٥) . في الوقت ذاته أجازت الحركات الإسلامية للمرأة المشاركة في الانتخابات لاختيار من يمثلها، غير أن موقف تلك الحركات قد تباين من ممارسة المرأة للنشاط السياسي ، كمشاركتها في عضوية المجالس النيابية، وأيضا إشغالها للوظائف السياسية المتعلقة بإدارة الدولة كالرئاسة أو القضاء أو الوزارة. فثمة حركات إسلامية عارضت هذه المشاركة معللين ذلك بوجود أدلة شرعية تمنع ذلك ، منها قول رسول الله ﷺ : «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» . فضلا عن اضطراب المرأة للاختلاط بالأجانب، وهذا محرم في الإسلام، الى جانب أسباب أخرى تتعلق بطبيعة المرأة وامكانياتها الجسدية^(١٦) . فيما أجازت حركات إسلامية أخرى تولي المرأة لهذه الوظائف، وشجعتها على اقتحامها ومزاولة ما وصفته بأنه "حق طبيعي من حقوق المرأة"^(١٧) .

ويؤكد قسم كبير من علماء الدين أن ثمة تأصيل شرعي لحق المرأة بممارسة النشاط السياسي. وحقها في المشاركة في الانتخابات البرلمانية (ناخبة ومرشحة). وثمة من يذكر أن التمكين السياسي للمرأة بدأ منذ الساعات الأولى لنزول الوحي، وطلبه من الرسول (صلى الله عليه وسلم) القراءة (سورة العلق) مما أفزع الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلم يذهب عليه الصلاة والسلام الى عمه أو ابن عمه أو صديقه . بل ذهب الى زوجته خديجة (رضي الله عنها) التي قصدت ابن عمها ورقة بن نوفل لتجد عنده الجواب العلمي لما حدث لزوجها. كما لم يهمل (عليه الصلاة والسلام) زوجته أو يعزلها عن الأحداث السياسية والعامية حتى وفاتها (رضي الله عنها)^(١٨) .

ثانياً / محمد عمارة وموقفه من قضايا المرأة :

أ. نشأته وتكوينه الفكري :

ولد محمد عمارة مصطفى عمارة بتاريخ ٨ كانون الاول عام ١٩٣١ ، في قرية (سروة)، مركز دسوق، التابعة لمحافظة كفر الشيخ، في جمهورية مصر العربية. من اسرة ميسورة الحال تحترف

الزراعة^(١٩). وفي حوار أجري معه عام ٢٠١٠، في إطار اعداد فلم وثائقي عن سيرته الشخصية والفكرية لصالح قناة الجزيرة يوضح محمد عمارة لنا شيئاً عن حياته الشخصية إذ يقول: "... ولدت في ٢٧ رجب ١٣٥٨هـ. الموافق ٨ ديسمبر عام ١٩٣١ في قرية اسمها سروة مركز (قلين) في محافظة كفر الشيخ شمالي الدلتا. ولدت لأسرة ريفية ميسورة الحال تعيش من ارضها. وانا رابع اخوتي الذكور. قبل ان اولد نذر والدي لله تعالى ان اذا رزق بولد فسيسميه محمداً، ويهبه للعلم. والعلم آنذاك هو العلم الديني."^(٢٠)

وعندما بلغ السادسة من عمره بدأ محمد عمارة يتلقى تعليمه الاولي في كتاب القرية. على الرغم من انها كانت تجربة قاسية بالنسبة له الا ان ثمة من يعد هذه المرحلة من حياة محمد عمارة بانها البداية المبكرة لتكوينه الفكري والتعليمي والروحي، إذ اضطر أن يتعامل في الكتاب مع معلم شديد القسوة في تعامله مع التلاميذ. مما دفعه لترك التعليم والعودة الى الحقل للعمل فيه. الا أن والده اصر على عودته الى الكتاب مرة أخرى. لكن في كتاب اخر، ومعلم آخر، هو الشيخ (محمد الجندي). الذي نالت شخصيته أعجاب محمد عمارة، ووصفه بأنه " كان رجلاً خلوفاً وبشوشاً وصاحب نكتة ". وقد ترك هذا المعلم انطباعاً جيداً وتأثيراً ايجابياً عند محمد عمارة. فأقبل بنهم على التعليم. فحفظ القرآن الكريم، ودرس بعض العلوم الشرعية. فضلاً عن الحساب والخط والاملاء.^(٢١)

وفي عام ١٩٤٥ التحق عمارة بالمعهد الديني في مدينة دسوق، وهو في سن الرابعة عشر من عمره، بعد ان اجتاز بنجاح اختبارات القبول في المعهد. وهناك التقى بالشيخ (محمد كمال الفقي) الذي كان سبباً في تعلق محمد عمارة بالمطالعة والخطابة. وكان اول كتاب قرأه وتأثر به هو كتاب (النظرات) لمصطفى لطفي المنفلوطي. كما بدأ يلقي خطب صلاة الجمعة في مسجد القرية، بعد ان يتدرب على القائها في الحقل الذي تملكه اسرته.^(٢٢)

وفي عام ١٩٤٩ التحق بالمعهد الاحمدي الثانوي بمدينة طنطا. وبعد دراسة استمرت لخمس سنوات، تخرج عمارة من المعهد عام ١٩٥٤ وبمعدل عال، أهله لدخول كلية دار العلوم في جامعة القاهرة. ليتخرج فيها عام ١٩٦٥، في تخصص اللغة العربية والعلوم الانسانية. بعد تأخر دام عدة سنوات، نتيجة فصله من الدراسة عام ١٩٥٧ لمدة عام. ثم اعتقاله لما يقارب ست سنوات بسبب نشاطه السياسي المعادي للحكومة آنذاك. وقد تمكن خلال وجوده في السجن من تأليف اربعة كتب عن القومية العربية وفلسطين والاستعمار واساليبه^(٢٣).

أكمل محمد عمارة دراساته العليا في جامعة القاهرة، كلية دار العلوم. فحصل على شهادة الماجستير عام ١٩٧٠ عن رسالته الموسومة " مشكلة الحرية الانسانية عند المعتزلة ".

وفي عام ١٩٧٥ ناقش اطروحة الدكتوراه في الكلية ذاتها. تخصص فلسفة اسلامية. وكانت بعنوان " نظرية الامامة وفلسفة الحكم عند المعتزلة ". لكن الكلية لم تصادق على شهادة الدكتوراه الا بعد عام من المناقشة. بسبب اعتراض احد الاساتذة المناقشين على الافكار التي وردت في الاطروحة^(٢٤). تزوج بعدها وله ولد وبنت. خالد محمد عمارة. طبيب جراحة العظام. ونهاد محمد عمارة، ماجستير كيمياء حيوية^(٢٥).

لم تكن التطورات السياسية التي شهدتها مصر آنذاك غائبة عن اهتمامات محمد عمارة ومتابعته لأوضاع البلد. ففي عام ١٩٤٦ شارك محمد عمارة في المظاهرات الشعبية التي خرجت للتنديد بمعاهدة (صدقي - بيفن). ورغم تكوينه ونشأته الاسلامية الا انه تأثر، واثاء دراسته في دار العلوم، بالأفكار الاشتراكية التي كانت منتشرة آنذاك. وكان حزب " مصر الفتاة " يمثل احدى واجهات الاحزاب اليسارية في مصر^(٢٦). فانظم محمد عمارة عام ١٩٥٠ الى هذا الحزب المعارض للحكومة. وبدا بكتابة المقالات التي تنتقد سياسة الحكومة والايضاح السياسية والاجتماعية في البلاد. وكان باكورة أعماله نشره موضوعاً عن فلسطين في صحيفة " مصر الفتاة " بعنوان " جهاد عن فلسطين ". فضلاً عن نشره العديد من المقالات في مجلات مصرية، مثل: مصر الفتاة، ومنبر الشرق، والمصري، وغيرها من المقالات التي تسببت في فصله من الجامعة لمدة عام. ثم اعتقاله لعدة سنوات، مما أدى الى تأخر تخرجه من الجامعة لعدة سنوات^(٢٧)

اصبحت مدة مكوث محمد عمارة في المعتقل بمثابة مراجعة فكرية لمواقفه وتوجهاته السياسية. ليتجه بعد خروجه من المعتقل نحو الفكر الاسلامي، الذي وجد أنه اقرب الى مشروعه الفكري والاصلاحي من التيارات العلمانية. وقد وصف محمد عمارة هذا التحول الفكري بانه " بعثة الهيئة مقصود بها معرفة الاخر ليكسر بها شوكة هذا الاخر فيما بعد"^(٢٨). ويمكن القول أن تحول عمارة من الفكر العلماني الى الفكر الاسلامي جعله اكثر نضجاً وقدرة على الموازنة بين الاسلام والاخر. واتاح له قوة النقد والرد على التيارات العلمانية. مستنداً الى سابق معرفته بتفاصيل وخفايا الفكر العلماني.

ومنذ عام ١٩٦٤ ترك محمد عمارة العمل السياسي بشكل نهائي. وتفرغ لمشروعه الفكري والنهضوي. وعَد هذا القرار من أهم القرارات التي اتخذها والتي تخدم المشروع النهضوي للامة الاسلامية. إذ أشار الى ذلك بقوله " لو كان لدينا ١٠٠ عالم ومفكر في العالم الاسلامي عكفوا على العمل الفكري فقط لتغير وجه الحياة الفكرية في واقعنا المعاصر "^(٢٩). كما رفض الوظائف، وكان يراها نوعاً من الرق، وقد تحدث عمارة عن مشروعه الفكري والغاية منه قائلاً :

"... اما مشروعى الفكرى فهو مشروع وقفت عليه حياتى وانقطعت له واثيرت ان لا ادخل فى سلك الوظائف ولا سلك التدريس فى الجامعات. لأنى اردت ان امتلك كل وقتى ,ان اوقفه على هذا المشروع. فكان هاجسى هو تكوين عقل عربى اسلامى اصولى." (٣٠)

الف محمد عمارة أكثر من (٢٠٠) كتاباً. حاول من خلالها الاسهام فى حل المشكلات الفكرية التي تواجه الامة الاسلامية. والعمل على تقديم مشروع نهضوى يخدم الامة العربية والاسلامية. وتجدر الاشارة الى ان العديد من تلك الكتب ترجمت الى لغات عدة، كالتركية والفارسية والانكليزية والفرنسية والروسية والالمانية والاسبانية وغيرها.. (٣١). كما شارك فى الكثير من الندوات والمؤتمرات العلمية والمناظرات الفكرية. ونال عضوية العديد من المؤسسات البحثية، منها المجلس الاعلى للشورى الاسلامية، والمعهد العالى للفكر الاسلامى. وعضو هيئة كبار العلماء الازهرية. وغيرها من المناصب (٣٢).

كتب محمد عمارة كثيراً عن الحضارة الاسلامية ومقارنتها بالحضارة الغربية. كما تحدث عن الغزو الاستعماري واساليبه فى استهداف الفكر الاسلامى. واعاد انتاج " الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى " ومحمد عبده وغيرهم. ونتيجة لمواجهته الافكار العلمانية واهتمامه بقضايا الفكر الاسلامى المتنوعة وصف من لدن العلمانيين بانه (منظر للحركة الاسلامية). كما طغى الاسلوب النقدي فى كتاباته عن التراث الاسلامى فى ظل التطورات العصرية. مع تبنيه وايمانه بالفكر الوسطى. تلك الوسطية التي وصفها بانها (الوسطية الجامعة) التي تشكل " منظراً للرؤية لا يمكن بدونه ان ندرك حقيقة الاسلام" (٣٣).

بتاريخ ٢٨ شباط/فبراير عام ٢٠٢٠ اعلن الدكتور خالد عمارة عن وفاة والده بعد معاناته مع المرض استمرت لثلاث اسابيع، عن عمر يناهز ٨٩ عاماً. ودفن فى قريته التي ولد فيها فى محافظة كفر الشيخ (٣٤). وقد نعته جهات عديدة رسمية وشعبية. وقد جاء فى بيان أصدره الازهر جاء فيه: " ... ان رحيل الدكتور محمد عمارة ترك فراغاً يصعب ملؤه فى صفوف كبار العلماء الذين يحملون على عاتقهم امانة العلم وصدق الكلمة." (٣٥). وبذلك انتهت حياة ابرز المفكرين الاسلاميين المعاصرين، والذي ترك ارثاً ونتاجاً كبيراً فى مختلف المواضيع الفكرية والاجتماعية. ومنها موقفه من قضايا المرأة.

ب- " قضايا المرأة فى فكر محمد عمارة " :

حرص محمد عمارة على توضيح موقف الاسلام من قضايا عديدة، فكرية واجتماعية. ويمكن القول أنه نجح فى تقديم رؤية مغايرة لما يعرضه مخالفي الاسلام. كان منها ما

يتعلق بالمرأة وقضاياها. وسنستعرض في هذا المحور أبرز القضايا التي أثرت حول المرأة. وكما يلي:

- قضية تحرير المرأة .

تعد قضية تحرير المرأة في الفكر العربي الحديث، من بين القضايا الفكرية التي حظيت باهتمام المفكرين العرب، إذ شغلت حيزا واسعا من كتاباتهم، وذلك لكونها كانت إحدى القضايا المحورية المطروحة آنذاك. ولازالت إلى حد الآن، تطرح في سياقات متعددة وبأشكال مختلفة. ونظراً إلى الأوضاع التي كانت تعيشها الدول العربية، والمتمثلة في الجمود الفكري، وفي تقديس العادات والتقاليد من جهة، وفي الاستبداد السياسي والتخلف الاقتصادي، وغلق باب الاجتهاد عند المفكرين من جهة ثانية. كل تلك الأوضاع أثرت سلباً على وضع المرأة. وأدت إلى تدني مستواها، وإلى إقصائها من المشاركة في الحياة العامة، وكل ذلك بسبب طغيان الفكر الذكوري وسيطرته في المجتمعات العربية. وهو فكر إما معتمد بالأساس على التأويل الخاطئ والسطحي للنصوص الشرعية. في الوقت الذي كانت فيه المرأة في العالم الغربي تعيش نوعاً من التحرر من قيود المجتمع، والسلطة الدينية.

أثار العلمانيون الجدل حول الأهلية التي منحها الإسلام للمرأة من خلال الشبهات الخمس التي جعلها الإسلام للمرأة بمثابة عقبات شرعية من دونها لا تكتمل أهلية المرأة ، فتجعل بالتالي منها نصف إنسان، ومن ذلك كانت دعوتهم إلى إسقاط الحل الإسلامي لتحرير المرأة والتماس هذا الحل في النموذج الغربي الذي نجح، حسب زعمهم، في تحرير المرأة الغربية من قيود الدين والمجتمع^(٣٦).

ومع اختلاف المنطلقات و الانتماءات اتفق أهل الاتجاه الديني واللا ديني، على إثارة هذه الشبهات الخمس، التي يجعلها غلاة الإسلاميين من اصل الدين ويعملون بها، ويحسبها العلمانيون أنها مبنية على أصول دينية. فينتقدون الإسلام بسببها. ويمكن الإشارة الى تلك الشبهات بما يلي:

- ١- جعل الإسلام ميراث الأنثى نصف ميراث الذكر. (للذكر مثل حظ الأنثيين) (سورة النساء، الآية رقم ١١)، وفي ذلك يدعي العلمانيون انتقاص من أهلية المرأة، فيجعلها نصف إنسان^(٣٧)
- ٢- وأن الإسلام اساء للمرأة عندما جعل شهادتها أقل من شهادة الرجل (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) {سورة البقرة، الآية رقم ٢٨٢} ، وهذا انتقاص من أهليتها، ويجعل منها إنسان غير مكتمل^(٣٨) .

٣- شرع الإسلام لعزل المرأة عن المشاركة في مجال الولاية والقيادة، وذلك عندما يجعل ولايتها فيه بانه المقدمة الحتمية لعدم الفلاح (لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة).

٤- وأن الإسلام أستناداً الى الحديث النبوي الشريف يجعل من النساء ناقصات عقل و دين، وهو بذلك يؤكد على نقصان أهلية المرأة، ويحول دون مساومتها بالرجال.

٥- كما أن المفهوم الشائع لدى أهل الغلو الديني واللاذيني عن القوامة التي قررها الإسلام للرجال على النساء قد جعلهم يجمعون رأيهم على أن القوامة هنا تنتقص من أهلية المرأة ومن مساواة النساء بالرجال لأنها تجعل النساء خاضعات لدى القوامين عليهن من الرجال^(٣٩) .

تلك هي الشبهات الخمس التي رسخت في عقول غلاة الإسلاميين، الذين جعلوا تقاليد مجتمعاتهم، الموروثة عن عصور التراجع الحضاري، ديناً يتدينون به، والتي رسخت كذلك في العقل العلماني؛ لذلك دعى عدد من المفكرين الاسلاميين الى ضرورة تحكيمها الى المنطق الإسلامي ، لان الإسلام حرص على توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة، على قاعدة أنهما في الإنسانية سواء^(٤٠).

في المقابل حاول عدد من المثقفين العرب تبني النموذج الغربي تجاه قضية المرأة. فأصبح تحرير المرأة عندهم يمر عبر التحرر من كل الالتزامات الدينية والحضارية والاجتماعية، بما في ذلك التحرر من الاسرة وقيمها الاجتماعية^(٤١).

امام هذان النموذجان المتناقضان (الغلو الديني واللاذيني) اتخذ عدد من المفكرين الإسلاميين الموقف الوسط من هذه القضية، و رفعوا شعار تحرير المرأة بالإسلام، و ليس ما قيل عن تحريرها من الإسلام^(٤٢). وكان ابرز هؤلاء المفكر الاسلامي الدكتور محمد عمارة الذي تبني النموذج الوسطي، الذي ينطلق من نصوص ومنطق وفقه القرآن الكريم والسنة النبوية في تحرير المرأة وأنصافها.

يشير محمد عمارة في كتابه (هل الإسلام هو الحل) الى الفرق بين الرؤية الغربية والاسلامية تجاه ما يُعرف بتحرير المرأة. فيقول: " اننا امام مهمة حقيقية لتحرير المرأة. لكن الخلاف بين دعوتنا وبين الدعوات العلمانية في هذا الميدان. قائم حول(نموذج التحرير) فالعلمانيون تبينوا ويتبنون (النموذج الغربي لتحرير المرأة. وهو الذي اراد للمرأة ان تكون النذ المماثل للرجل). بينما ندعو نحن الى (النموذج الاسلامي لتحرير المرأة)، ذلك الذي يرى المرأة الشق المكمل للرجل والمساوي له أيضاً. فيحتفظ لها بتميزها كأنتى دون أن ينتقص من مساواتها للرجل كإنسان"^(٤٣).

ولأهمية موضوع تحرير المرأة عند محمد عمارة فقد ربط هذا الموضوع بتحرير المجتمع. مؤكداً أن تحرير المرأة هو جزء من تحرير المجتمع. وأنه لا يمكن أن يكون المجتمع حر وجزء

منه لا يتمتع بحقوقه وحرية، حيث يقول: "وأنا بالمقارنة بين النموذج الغربي والإسلامي ندرك المزايا التي حصلت عليها المرأة في الإسلام قياساً بما اكتسبته لدى الحضارات الأخرى" (٤٤). وأشار محمد عمارة الى أنه على الرغم من أن بعض البيئات والمجتمعات الإسلامية تسود فيها عادات وتقاليد وأعراف تحجب المرأة عن المشاركة فيما هي أهل له وقادرة عليه من ميادين العمل، فإن المنهج الإسلامي يدعو إلى تحديث هذه العادات والتقاليد والأعراف نحو بناء نموذج إسلامي يسعى لتحرير المرأة بشكل لا يتجاوز الواقع ولا يتجاهله. وكذلك الحال مع البيئات والمجتمعات الإسلامية التي اقتحمها النموذج الغربي (لتحرير المرأة)، ذلك الذي أراها نداءً للرجل، وتجاهل تميزها كأنثى. كما تجاهل القيم الإسلامية وضوابط الشريعة على النحو الذي اهان المرأة واستباح حرمتها. ودعى عمارة الى رفض هذا النموذج، وطى صفحات فكره وممارساته من واقعنا الإسلامي (٤٥).

هاجم عمارة في كتابه "الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية" الرؤية الغربية لتحرير المرأة، لأنها أساءت الى المرأة وطبيعة تكوينها النفسي والجسدي. فيقول: "فلسفة التحرير الإسلامي للمرأة قد راعت تمايز التكوين الطبيعي في إطار المساواة الإنسانية تحقيقاً لتكامل الذكر والأنثى، ابتغاء لسعادتهما جميعاً أما فلسفة التحرير الغربي، للمرأة، فإنها اعتمدت الندية فجعلت معركة الأنثى ضد الذكر، وظنت أن تحررها كامن في استرجالها، فقادت إلى حال القط الذي قلد أسداً، حتى حرم من ميزات القط دون أن يكتسب ميزات الأسود، متناسية أن فلسفة التكامل تقتضي التنوع بين المتكاملين" (٤٦).

- قضية الحجاب

اثار كلام محمد سعيد العشماوي، وهو مفكر مصري من دعاة العلمانية والدولة المدنية، حفيظة محمد عمارة وبلور موقفه من قضية الحجاب. فقد حاول العشماوي ان يبرهن على أن فرض الحجاب لم يكن تشريعاً دينياً بقدر ما هو إجراء مؤقت اتخذ لسبب معين ومن المفترض ان يزول بزوال المسبب. حيث يقول: "كانت عادة العربيات التبذل، وكن يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء والعاهرات وكان ذلك داعياً الى نظر الرجال إليهن، وأن يتبرزن في الصحراء في عهد التنزيل، قبل أن تتخذ الكُنُف (دورات المياه)، فكان بعض الفجار يتعرضون للمرأة أو الفتاة من المؤمنات على مظنة أنها أمة أو عاهر فشكو ذلك إلى النبي - ﷺ - فنزلت الآية (يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً) (٤٧). فالقصد من الآية ليس فرض إسلامي ولكن التمييز بين الحرائر من جانب والإماء والعاهرات من جانب آخر في الزي. من ثم كان إجراء مؤقتاً لعدم وجود دورات

المياه في المنازل، واضطرار الحرائر من المؤمنات للخروج إلى الصحراء بعيدا عن المدينة لقضاء الحاجة وتعرض بعض الفجار لهن، مما اقتضى تمييزهن عن الإماء والعاشرات بزي معين لكي يعرفن فلا يؤذيهن أحد، وإذا كان الفقهاء يقولون : إن الحكم يرتبط بالعلة وجودا وسببية فإن زوال العلة في الحكم السابق، ووجود دورات مياه في المنازل، وعدم التعرض لأنثى بناء على زي أو غير زي، ذلك مما يعني زوال الحكم بزوال سببه، فهو حكم وقتي مرتبط بظروف معينة ومنوط بوضع خاص، ومتى زال الوضع وتغيرت الظروف تعين وقف الحكم^(٤٨).

تصدى محمد عمارة لما ذهب اليه العشماوي وفند رأيه، فقال: إذا كان المراد بأية الحجاب هو مجرد التمييز في الزي بين الحرائر والإماء فهل يصح أن يكون التمييز بأي وسيلة محققة له ؟ ، ومنها مثلا زيادة مساحة العرى عند الحرائر عن الإماء ، وفي العرى عند البعض مزيد من الحرية ربما لأعمت الحرائر وميزتهن أكثر من الإماء، أو التمييز مثلا ببطاقة هوية ، أم أن للأمر والعلة علاقة بالفضيلة التي تستلزم ستر المفاتن وحجب العورات، فالستر هو الواقي من الأذى، ومن ثم فأحكام الحجاب معللة بعلة دائمة لا علاقة لها بوجود مؤقت للإماء، ولا بوضع محلي و مرحلي، مثل التغطية خارج البيوت، وليست العلة مجرد التمييز بين الحرائر والإماء، وهل كانت علة الحجاب هي خروج المرأة من منزلها، أي: مكان الغائط؟ أم الخروج من منزلها الذي لا يفتحها عليها غريب إلى إذ غير المحارم ، ألم تؤمر المرأة بالحجاب وستر العورات حتى وهي ذاهبة الى المسجد؟ وبالحجاب حتى وهي في منزلها إذا حضر غير محرم، ألم يضع الإسلام نظاما لهذا الأمر حتى في داخل البيوت؟ فالمرأة الأنصارية ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- تقول : يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال ، فكيف أصنع^(٤٩) ، فالتشريع هو للحجاب وستر النساء من غير المحارم حتى من الأهل في داخل البيوت، فكيف يتصور عقل عاقل نسخ حكم الحجاب بإقامة دورات المياه في البيوت^(٥٠) .

ثم بين عمارة إن ذات سورة النور تستأنف التشريع لستر العورات داخل البيوت ، وتوضحها للمحارم الذين حددتهم الآيات، ومنهم الصبيان إذا بلغوا الحلم وليس الأمر أمر تمييز للحرائر أمام الفجار في طرقات مراحيض الخلاء خاصة كما أدعى المستشار العشماوي، فهل هناك عاقل يقول: إن هذا النظام التشريعي كان إجراء مؤقتا ؛ لعدم وجود دورات المياه في المنازل، وإن زوال العلة ووجود دورات مياه في المنازل يعني زوال الحكم فهو حكم وقتي مرتبط بظروف معينة ومنوط بوضع خاص كما قال المستشار العشماوي، وهل يستوي خروج المرأة إلى

الأسواق، والمساجد، ودور العلم، مع خروجها الى مراحل الخلاء فيجب عليها الاختمار وستر العورات^(٥١).

- قضية ميراث المرأة :

دافع محمد عمارة عن الاسلام عندما أتهم بأنه ظلم المرأة بجعل نصيبها من الميراث نصف ميراث الرجل فقال: " صحيح وحق أن آيات الميراث في القرآن الكريم قد جاء فيها قول الله سبحانه وتعالى: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين، لكن كثيرين من الذين يثيرون الشبهات حول أهلية المرأة في الإسلام، متخذين من التمايز في الميراث سبيلا إلى ذلك لا يفقهون أن توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفاً عاماً ولا قاعدة مطردة في توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث، فالقرآن الكريم لم يقل: يوصيكم الله في الموارث والوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين إنما قال : يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين^(٥٢) ، أن هذا التمييز ليس قاعدة مطردة في كل حالات الميراث^(٥٣)، وإنما هو في حالات خاصة، بل ومحدودة من بين حالات الميراث وقال: " إن الفقه الحقيقي لفلسفة الإسلام في الميراث تكشف عن أن التمايز في أنصبة الوارثين والوارثات لا يرجع إلى معيار الذكورة والأنوثة، وإنما لهذه الفلسفة الإسلامية في التوريث حكم إلهية ومقاصد ربانية قد خفيت عن الذين جعلوا التفاوت بين الذكور والإناث في بعض مسائل الميراث وحالاته شبهة على كمال أهلية المرأة في الإسلام " ^(٥٤)

ثم ينتقل عمارة إلى ذكر المعايير التي توضح الفلسفة التي يكتنزها نظام الإسلام الفريد في تقسيم الميراث فيقول: "إن التفاوت بين أنصبة الوارثين والوارثات في فلسفة الميراث الإسلامي، إنما تحكمه ثلاثة معايير :

أولها: درجة القرابة بين الوارث ذكراً كان أو أنثى وبين المورث المتوفى فكما اقتربت الصلة، زاد النصيب في الميراث، وكما ابتعدت الصلة قل النصيب في الميراث دونما اعتبار لجنس الوارثين" ^(٥٥).

وثانيها: "موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال، فالأجيال التي تستقبل الحياة، وتستعد لتحمل أعبائها، عادة يكون نصيبها في الميراث أكبر من نصيب الأجيال التي تستدبر الحياة، وتتخفف من أعبائها، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين والوارثات "ويوضح عمارة هذه المسألة فيقول: " فبنت المتوفى ترث أكثر من أمه وكتلتها أنثى، وترث البنت أكثر من الأب حتى لو كانت رضيعة لم تدرك شكل أبيها، وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التي للابن، والتي تنفرد البنت بنصفها، وكذلك يرث الأبن أكثر من الأب وكلاهما من الذكور، وفي

هذا المعيار من معايير فلسفة الميراث في الإسلام حكم إلهية بالغة ومقاصد ربانية سامية تخفى على الكثيرين، وهي معايير لا علاقة لها بالذكورة والأنوثة على الإطلاق".
وثالثها: "العبء المالي الذي يوجب الشرع الإسلامي على الوارث تحمله والقيام به حيال الآخرين، وهذا هو المعيار الوحيد الذي يثمر تفاوت بين الذكر والأنثى، لكنه تفاوت لا يفضي إلى أي ظلم للأنثى أو انتقاص من إنصافها، بل ربما كان العكس هو الصحيح" (٥٦).
- قضية شهادة المرأة :

تعد قضية شهادة المرأة من القضايا التي أثار حولها المستشرقون، ومن تبعهم من العلمانيين وانصاف المتقفين، الشبهات مدعين أنها من الأدلة على ظلم الإسلام المرأة، وعدم المساواة بينها وبين الرجل، رد محمد عمارة على ذلك بقوله: " من الشبهات التي يتعلق بها بعض العلمانيين بجعل الإسلام شهادة المرأة نصف شهادة الرجل (٥٧)، وأن الإسلام جعل المرأة نصف إنسان، وذلك عندما جعل شهادتها نصف شهادة الرجل مستدلين على ذلك بآية من سورة البقرة (وَأَسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ...) (٥٨)

يرى محمد عمارة أن فكرة الشبهة حسب مثيروها أن الإسلام قد انتقص من أهلية المرأة، بجعل شهادتها نصف شهادة الرجل، هو بسبب عدم التفريق بين معنى " الشهادة " ومعنى " الإِشهاد " الذي تتحدث عنه آية المداينة في سورة البقرة " فالشهادة التي يعتمد عليها القضاء في اكتشاف العدل المؤسس على البيئية، واستخلاصه من ثنايا دعاوى الخصوم، لا تتخذ من الذكورة أو الأنوثة معياراً لصدقها أو كذبها، ومن ثم قبولها أو رفضها، وإنما معيارها تحقق اطمئنان القاضي لصدق الشهادة بصرف النظر عن جنس الشاهد، ذكراً كان أم أنثى، فالقاضي إذا اطمأن ضميره إلى ظهور البيئية أن يعتمد شهادة رجلين، أو امرأتين، أو رجل وامرأة، أو رجل وامرأتين، أو امرأة ورجلين، أو رجل واحد أو امرأة واحدة، ولا أثر للذكورة أو الأنوثة في الشهادة التي يحكم القضاء بناء على ما تقدمه له من البيئات" كما يشير عمارة (٥٩).

أما الآية القرآنية التي تشير إلى شهادة امرأتين فإنها تتحدث عن أمر آخر غير الشهادة " أمام القضاء، فهي تتحدث عن " الإِشهاد " الذي يقوم به صاحب الذئ للوثيق والحفاظ على دينه، وليس عن " الشهادة " التي يعتمد عليها القاضي في حكمه بين المتنازعين، فالآية موجهة لصاحب الحق وليس إلى القاضي الحاكم في النزاع، بل إن هذه الآية لا تتوجه إلى كل صاحب حق دين ولا تشترط ما اشترطت من مستويات الإِشهاد وعدد الشهود في كل حالات الدين، وإنما توجهت بالنصح والإرشاد فقط النصح والإرشاد إلى دائن خاص، وفي حالات خاصة من الديون،

لها ملابسات خاصة نصت عليها الآية، فهو دين إلى أجل مسمى، ولا بد من كتابته، ولا بد من عدالة الكاتب، ويحرم امتناع الكاتب عن الكتابة، ولا بد من إملاء الذي عليها الحق. والإشهاد لابد أن يكون من رجلين من المؤمنين، أو رجل وامرأتين من المؤمنين، وأن يكون الشهود ممن ترضى عنهم الجماعة، ولا يصح امتناع الشهود عن الشهادة، وليست هذه الشروط بمطلوبة في التجارة الحاضرة ولا في المبايعات، ثم إن الآية ترى في هذا المستوى من الإشهاد الوضع الأقط والأقوم، وذلك لا ينقي المستوى الأدنى من القسط^(٦٠).

- نقصان العقل والدين عند المرأة :

أكد محمد عمارة أن عبارة (المرأة ناقصة عقل ودين) ليس لها نص شرعي. بل جاءت من عادات اجتماعية متوارثة. فقال: "إن المصدر الحقيقي لهذه المقولة هو العادات والتقاليد الموروثة، والتي تنظر إلى المرأة نظرة دونية، وهي عادات وتقاليد جاهلية، التي حرر الإسلام المرأة منها، لكنها عادت إلى الحياة الاجتماعية، في عصور التراجع الحضاري مستندة كذلك إلى رصيد التمييز ضد المرأة الذي كانت عليه مجتمعات غير إسلامية، دخلت في إطار الأمة الإسلامية، دون أن تتخلص تماما من هذه الموارث، وقد حاولت هذه العادات والتقاليد بعد أن ترسخت وطال عليها الأمد، أن تجد لنظرتها الدونية للمرأة غطاء شرعيا في التفسيرات المغلوطة لبعض الأحاديث النبوية وذلك بعد عزل هذه الأحاديث عن سياقها، وتجريدها من أسباب ورودها" ^(٦١)

وقد أعادت بعض العادات والتقاليد المرأة أو حاولت إعادتها إلى أسر وأغلال منظومة من القيم بعيدة كل البعد عن الروح الإسلامية حتى أصبحت المفاخرة والمباهاة بأعراف ترى: أن المرأة الكريمة لا يليق بها أن تخرج من مخدعها إلا مرتان: أولاهما: إلى مخدع الزوجية وثانيهما: إلى القبر الذي تدفن فيه، فهي عورة، لا يسترها إلا القبر، ومشاورة المرأة شؤم يجب اجتنابها، وإذا حدثت يجب مخالفتها^(٦٢).

وقد كان الحظ الأوفر في هذا المقام للتصور الخاطيء الذي ساد وانتشر لحديث رسول الله (ﷺ) الذي رواه البخاري ومسلم عن نقص النساء في العقل والدين، وهو حديث رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضْحَى أو فِطْرٍ إلى المِصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فقال: " يا معشر النساء، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداهن . قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله . قال: " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل " .. قلن: بلى. قال: " فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم . قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينها".، ذلكم هو الحديث

الذي اتخذ تفسيره المغلوط ولا يزال " غطاءً شرعياً " للعادات والتقاليد التي تنتقص من أهلية المرأة، والذي ينطلق منه نفر من غلاة الإسلاميين في جهادهم " ضد إنصاف المرأة وتحريرها من أغلال التقاليد الراكدة، وينطلق منه المتغربون وغلاة العلمانيين في دعوتهم إلى إسقاط الإسلام من حسابات تحرير المرأة، الأمر الذي يستوجب إنقاذها من هذه التفسيرات المغلوطة لهذا الحديث، بل إنقاذ هذا الحديث الشريف من هذه التفسيرات (٦٣)

وبشأن ما جاء في هذا الحديث خلص محمد عمارة الى عدد من الملاحظات التي تلخص موقفه من هذا الموضوع :

الأولى: إن الحديث يخاطب حالة خاصة من النساء، ولا يشرع شريعة دائمة ولا عامة في مطلق النساء، فهو يتحدث عن واقع والحديث عن الواقع القابل للتغيير والتطور شيء، والتشريع للثوابت عبادات وقيما ومعاملات شيء آخر. فمثلا عندما يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم " إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب ، فهو يصف واقعا، ولا يشرع لتأييد الجهل بالكتابة والحساب؛ لأن القرآن الكريم قد بدأ بفريضة القراءة، قال تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)(٦٤). ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وصف واقع الأمية الكتابية والحسابية، وهو الذي غير هذا الواقع، بتحويل البدو الجهلاء الأميين إلى قرّاء وعلماء وفقهاء، وذلك امتثالاً لأمر ربه في القرآن الكريم، فوصف الواقع كما تقول الآن مثلاً: نحن مجتمعات متخلفة، لا يعني تشريع هذا الواقع ولا تأييده بأي حال من الأحوال (٦٥)

الثانية : إن في بعض روايات هذا الحديث وخاصة رواية ابن عباس رضى الله عنهما ما يقطع بأن المقصود به إنما هي حالات خاصة. فالنساء لهن صفات خاصة، هي التي جعلت منهن أكثر أهل النار، لا لأنهن نساء، وإنما لأنهن كما تنص وتعلل هذه الرواية " يكفرن العشير ، ولو أحسن هذا العشير إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منه شيئاً لا يعجبها، كفرت بكل النعم التي أنعم عليها بها، وقالت بسبب النزق أو الحمق أو غلبة العاطفة التي تنسبها ما قدمه لها هذا العشير من إحسان: ما رأيت منك خيراً قط "، فهذا الحديث إذن وصف لحالة بعينها، وخاص بهذه الحالة ، وليس تشريعاً عاماً ودائماً لجنس النساء .

الثالثة : إن مناسبة الحديث تشرح ألفاظه وأوصافه؛ لأن يكون المقصود من ورائها المدح وليس الذم، فالذين يعرفون الرسول، وهو صاحب الخلق العظيم كما وصفه تعالى : وإنك لعلى خلقٍ عظيم، والذين يعرفون كيف جعل الرسول صلى الله عليه وسلم - من العيد الذي قال فيه هذا الحديث فرحة، وهو صاحب هذا الخلق العظيم، ويعرفون رفقه بالقوارير، ووصايا بهن حتى وهو

على فراش المرض يودع هذه الدنيا، لا يمكن أن يتصوره صلى الله عليه وسلم - ذلك الذي يختار يوم الزينة والفرحة ليجابه كل النساء ومطلق جنس النساء بالذم والتقريع والحكم المؤيد عليهن بنقصان الأهلية، لنقصانهن في العقل والدين^(٦٦). ويبدو واضحاً أن محمد عمارة سعى جاهداً لتفنيد ونقد النظرة المحجفة الظاهرة على الحديث الشريف، كونه ينتقص من قدر النساء ويفسح المجال امام الآخرين لانتقاد موقف الاسلام من المرأة.

- قوامة المرأة :

يؤكد محمد عمارة أن القوامة التي ذكرت في القرآن ليست إنتقاصاً للمرأة ودورها في المجتمع. بل هي، وكما فهما الصحابة، مسؤولية وتكاليف للرجل مصاحبة لمساواة النساء بالرجال، مستشهداً بعبارة للشيخ محمد عبده عن القوامة، إذ يقول: "... انها تقرض على المرأة شيئاً وعلى الرجال أشياء"^(٦٧). لكن يعود محمد عمارة ليشير أن مفردة القوامة أصبحت تعني، في عصر التراجع الحضاري للامة الاسلامية، أن المرأة أسيرة لدى الرجل. وأن القوامة هي لون من (القهر) لأولئك الاسيرات؛ لذلك كان من مقتضيات البعث الحضاري اعادة المفاهيم الاسلامية لمعنى قوامة الرجال على النساء. وهي المهمة التي نهضت بها الاجتهادات الاسلامية الحديثة والمعاصرة لأعلام علماء مدرسة الاحياء والتجديد^(٦٨).

كما سعى عمارة الى إزالة التناقض بين القوامة والمساواة، فقال: " ولحكمة إلهية قرن القرآن الكريم في آيات القوامة بين مساواة النساء للرجال وبين درجة القوامة التي للرجال على النساء، بل وقدم هذه المساواة على تلك الدرجة ، عاطفة الثانية على الأولى ب " واو " العطف، دلالة على المعية والاقتران، أي: إن المساواة والقوامة صنوان مقترنان، يرتبط كل منهما بالآخر، وليسا نقيضين، حتى يتوهم واهم أن القوامة نقيص ينتقص من المساواة، لحكمة إلهية جاء ذلك في القرآن الكريم، عندما قال الله سبحانه وتعالى في الحديث عن شئون الأسرة وأحكامها: ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم^(٦٩)، وفي سورة النساء جاء البيان لهذه الدرجة التي للرجال على النساء في سياق الحديث عن شئون الأسرة ، وتوزيع العمل والأنصبة بين طرفي الميثاق الغليظ الذي قامت به الأسرة الرجل والمرأة فإذا بآية القوامة تأتي تالية للآيات التي تتحدث عن توزيع الأنصبة والحظوظ والحقوق بين النساء وبين الرجال ، دونما غبن لطرف، أو تمييز يخل بمبدأ المساواة، وإنما وفق الجهد والكسب الذي يحصل به كل طرف ما يستحق من ثمرات قال تعالى: وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَإِسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^(٧٠)

وبناءً على ما سبق إن درجة القوامة كما يقول محمد عمارة : "هي رعاية رُبان الأسرة الرجل لسفينته، وأن هذه الرعاية هي مسؤولية وعطاء، وليست ديكتاتورية ولا استبداداً ينقص أو ينتقص من المساواة التي قرنها القرآن الكريم بهذه القوامة ، بل وقدمها عليها؛ لذلك لا يمكن أن تفهم القوامة بمعزل عن المبادئ الإسلامية العامة، التي تلزم المكلف ذكراً كان أو أنثى، وأول هذه المبادئ كما ذكر الدكتور محمد عمارة هو مبدأ الشورى^(٧١).

- تعدد الزوجات :

قدم محمد عمارة تفسيرات وافية عن مبررات تعدد الزوجات فقال: "التعدد مباح وهو عند مقتضياته يحل كثير من المشاكلات التي تمر بها كثير من المجتمعات، فمثلاً: الشعب الفلسطيني، يعد تعدد الزوجات فيه سلاح في مواجهة الغزو الصهيوني، وكذلك بعض الشعوب العربية التي يتعرض رجالها للقتل والفقء، ماذا لو لم يكن هنالك تعدد في الشريعة الإسلامية، لكان الانحلال الجنسي وتعدد الخليلات، فالتعدد في مثل هذه الحالات، يمثل حلاً للنساء اللاتي فقدن أزواجهن" ^(٧٢).

إن الإسلام عندما شرع تعدد الزوجات قدم لنا حلاً جاهزاً لمشكلات يمكن أن تمر بها المجتمعات، أما إذا تحول التعدد إلى مجرد نزوة، أو يكون فيه اضرار اجتماعية وأسرية في تربية الأطفال وتفضيل بعضهم على بعض أو حرمان أحد من الميراث إلى غير ذلك من المشكلات الأسرية، ففي هذه الحالة يكون التعدد ككل المباحات يمكن تقييده، فالأكل مثلاً مباح؛ لكن إذا سبب ضرراً فلا بد من تقييده، وبهذا يمكن القول: إن النظرة الوسطية المعتدلة لهذه القضية هي التي تحل المشكلة^(٧٣).

بعدها انتقل محمد عمارة الى ذكر أهم شرط من شروط التعدد وهو العدل واستدل بقوله تعالى : (وإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة)^(٧٤). بمعنى أي خشية من عدم العدل، والعدل بين النساء يكون في المبيت بدليل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - استأذن من نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها ، ولو لم يأذن له لأضرر وهو في مرضه للذهاب لكل واحدة منهن رضي الله عليهن ^(٧٥).

- ضرب الزوجة الناشز :

عالج محمد عمارة قضية النشوز وإباحة القرآن الكريم ضرب الزوجة الناشز تأديباً لها، وعرض هذه القضية في عدد من النقاط :

أولاً : " أن النشوز ، يقع من الزوج كما يقع من الزوجة ، قال تعالى : وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ وَإِنِ تَحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا،^(٧٦) والإعراض هو المقدمة للنشوز^(٧٧). ثانياً: في حالة نشوز الزوج، فإن كراهيته لواقعه، وإعراضه عن زوجته واستعلائه وتطلعه إلى واقع آخر، معناه أنه يسعى الى الزواج بزوجة أخرى، وهذا مباح بشرط القدرة عليه والعدل بين الزوجات، على أن يسبق ذلك سعي للصلح والإصلاح بين الزوج الناشز وزوجته، بواسطة التحكيم. ونبهت الآية التالية الزوج الناشز، الذي استعلى على واقعه واقترب بزوجة أخرى، الى صعوبة إقامة العدل، وكأنها تصرفه عن النشوز، فقال تعالى :وَإِن يَتَرَكَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ^(٧٨). على أن الزوجة الأولى التي نشز زوجها إذا لم ترض بالتعدد والضرة، فإن بالطلاق والإحسان حلاً لما وقع بها من أضرار وعلى هذا فإن نشوز الزوج، تدور وقائعه في دائرة الحلال المتاح المشروط بالعدل وهو التعدد، أو دائرة أبغض الحلال الطلاق^(٧٩).

ثالثاً : نشوز الزوجة، أي امتناع المرأة عن أداء حق الزوج أو عصيانه، و كراهتها لزوجها والصدود عنه، واستعلائها على واقع حياتها الزوجية، وتطلعه إلى واقع آخر، فإن معناه هدم الأسرة، وهذا التطلع الى مشروع زوج آخر يكون كارثة، وهذا النشوز يرد فيه التأديب؛ طلباً للحفاظ على كيان الأسرة ومنعاً للخيانة المادية أو المعنوية والفعلية، التي تقسد الحياة بين الزوج وزوجته، وتستبدل الحلال بالحرام في أعز دائرة من دوائر الحياة الإنسانية^(٨٠).

بعد بيان النشوز انتقل محمد عمارة الى استعراض الحل لمشكلة نشوز الزوجة فقال: بين التشريع القرآني لحل هذه المشكلة، أي: نشوز الزوجة وغيرها من المشكلات الزوجية كالشقاق بين الزوجين، عن طريق التحكيم فقال سبحانه: وَإِن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا^(٨١). أما إذا لم يفلح التحكيم من الحكيم والقاضي وإزالة مرض النشوز الذي أصيبت به الزوجة، فإن على الزوج أن يسعى إلى الإصلاح المتدرج والمتعدد المراحل، يعظها ويحذرهما بالوعظ من عواقب طريق النشوز، فإن استجاب للوعظ والتحذير كان بها، وإن لم تستجب للوعظ والتحذير، فلعل هذا النشوز والكراهية والصدود والاستعلاء، أن يكون ناتجاً عن ملل الزوجة من معاشرتها زوجها، وهنا شرحت الآية علاجاً نفسياً للمرحلة الثانية من مراحل الإصلاح، وهو العلاج بالهجر، وهو هجر الزوج لزوجته في المضاجع، أي أن الهجر ليس لبببب الزوجية ولا للزوجة، وإنما هو البعد المؤقت عن المخدع والمضجع، عسى أن يكون في ذلك التجديد للأشواق، ومن ثم إزالة السبب الذي جعل الزوجة تعرض وتصد وتستعلي وتتطلع وتفكر في واقع جديد، فإذا لم يفلح الهجر في

العلاج، وظلّت الزوجة على نشوزها واستعلائها، هنا يكون آخر الدواء وأمره، وهو التأديب بالضرب الذي هو آخر المراحل الثلاثة في مسيرة الإصلاح التي ذكرتها الآية، والملجأ الأخير للحفاظ على بقاء الأسرة^(٨٢).

- زواج المسلمة من غير المسلم :

حول اتهام الاسلام بالعنصرية بسبب تحريم زواج المرأة المسلمة من غير المسلم، تصدى محمد عمارة لهذه التهمة من خلال توضيحه للحكمة من هذا التحريم. فقال: " بعض الناس لا يفهمون أو أنهم لا يريدون أن يفهموا الحكمة في منع الإسلام زواج المسلمة من غير المسلم، مع إباحته زواج المسلم من الكتابية، حتى وصل الأمر ببعض هؤلاء الجاهلين والمتجاهلين إلى الافتراء على الشريعة الإسلامية، فوصفها أحدهم بالعنصرية، وقال آخر: إنها جدار الفصل العنصري، والحقيقة أن العلة في هذا التشريع الإسلامي هي اعتراف المسلم - بحكم عقيدته - باليهودية والنصرانية، ومن ثم احترامه لعقيدة زوجته الكتابية، ولرموز دينها، الأمر الذي يضمن نفي الحرج عنها في بيت زوجها المسلم، بل وتمكينها من الوفاء بكل فرائض عقيدتها، الأمر الذي لا نظير له عند غير المسلمين إزاء الإسلام، إن المسلم يقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَا النُّورَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ بِمَا اسْتَخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" ^(٨٣) أي: أن الإسلام يوجب على الزوج المسلم أن يمكن زوجته الكتابية - في بيته المسلم - من إقامة دينها اليهودي أو المسيحي - بل وأن ينفق على تمكينها من ذلك، وفي هذا نص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عهده انصارى نجران (ولكل النصرارى)، على أنه "إذا صارت النصرانية عند المسلم زوجة، فعليه أن يرضى بنصرانيتها، ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، ولا يمنعها عن ذلك، فمن خالف ذلك وأكْرهها على شيء من أمر دينها فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله، وهو عند الله من الكاذبين ^(٨٤).

- قضية عمل المرأة :

من خلال الكثير من تصريحاته يتضح ان محمد عمارة كان من المؤيدين لعمل المرأة. وقد استطرده كثيراً في الحديث عن هذه القضية. فأشار الى أن القرآن الكريم تحدث عن دائرتين من دوائر المشاركة والاشترك والارتفاق بين الذكور والإناث: الأولى: هي دائرة الأسرة التي هي اللبنة الأولى في بناء الأمة، والخلية التي بها الاجتماع الإنساني، وعن علاقة المشاركة والاشترك في هذه الدائرة تحدث القرآن الكريم عن الميثاق الغليظ

والفطري الذي يربط بين الزوجين قال تعالى: وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا^(٨٥)، كما تحدث القرآن الكريم عن التماثل بين الزوج والزوجة في الحقوق والواجبات، قال تعالى: ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم^(٨٦)، والمماثلة التي تتحدث عنها الآية، ليست بين الذكر والأنثى ، ذلك أن الفطرة الإلهية قد ميزت بينهما، قال تعالى : وليس الذكر كالأنثى^(٨٧)، وإنما هي المماثلة في الحقوق والواجبات بين الزوجين في دائرة الاجتماع الأسري، على النحو الذي يجعل هذه الحقوق والواجبات بالاشتراك كلاً واحداً. وعندما تكون المماثلة في المشاركة بالحقوق والواجبات، وليست بين الأنوثة والذكورة، فهي مماثلة الشقين المتكاملين، لا الندين المتطابقين^(٨٨).

أما الدائرة الثانية: فهي دائرة الأمة والمجتمع، أي: دائرة المشاركة في العمل الاجتماعي العام، ولما كان جماع العمل العام في الرؤية الإسلامية، مندرجاً تحت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تشمل كل تكاليف وأحكام السياسة والاجتماع والاقتصاد والآداب العامة ومنظومة القيم والأخلاق والعادات والأعراف، فقد شرع القرآن الكريم مبدأ الاشتراك والمشاركة بين الرجال والنساء في كل هذه الميادين الاجتماعية عندما قال سبحانه: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم^(٨٩). فالمشاركة في العمل العام، أي : في النهوض بالفرائض والتكاليف الاجتماعية، التي يتوجه فيها الخطاب الى الأمة، أي : الى الرجال والنساء على السواء هي مشاركة عامة، مع تنوع درجات الإسهام في كل ميدان من ميادين العمل العام، وفق المؤهلات والإمكانات الفطرية والمكتسبة للذكور والإناث، إنها فرائض إلهية على النساء والرجال ، يؤدونها مناصرين بعضهم لبعض، كما هو الحال في الأسرة التي هي الصورة المصغرة للاجتماع العام في الأمة الإسلامية^(٩٠).

انتقل محمد عمارة من ذكر الأدلة الى ذكر التطبيقات في المجتمع النبوي، فقال: بدأ الإسلام في طور شريعته الخاتمة والخالدة بالوحي، ومنذ اللحظة الأولى بدأت مشاركة المرأة في الإيمان بالدين الجديد، وفي الدعوة إليه والدفاع عنه والتضحية في سبيله ، فقد بدأت الأمة والجماعة المؤمنة بامرأة، وهي السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وارضاهها - وظلت الأمة الإسلامية الجديدة متجسدة في هذه المرأة، حتى بدأت دائرة الإيمان بالدين الجديد تضم السابقين والسابقات، كما ظلت حياة السيدة خديجة رضي الله عنها - سلسلة من المشاركات الخاصة والعامية في الدعوة الإسلامية إلى أن جاءها اليقين، حتى سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام موتها بعام الحزن، الحزن العام وليس فقط الحزن الخاص^(٩١).

- ولاية المرأة :

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث(ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) وملابسات الحديث: إن نفر قد قدموا من بلاد فارس إلى المدينة المنورة ، فسألهم رسول الله - ﷺ - : " من يلي أمر فارس ؟" قال أحدهم : امرأة. فقال (ﷺ) : " ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"^(٩٢)، يقول محمد عمارة في رده على ولاية المرأة: إن إغفال مناسبة ورود الحديث يجعل معناه الحقيقي مخالفة للاستدلال به على تحريم ولاية المرأة للعمل العام ، ذلك أن ملابسات ورود الحديث هو نبوءة سياسية بزوال ملك فارس، وقد تحققت بعد ذلك بسنوات، أكثر من جعله تشريعاً عاماً يحرم ولاية المرأة للعمل السياسي العام. ثم إن هذه الملابسات تجعل معنى هذا الحديث خاصة بالولاية العامة، أي رئاسة الدولة وقيادة الأمة، فالمقام كان مقام الحديث عن امرأة تولت عرش فارس، التي كانت تمثل إحدى القوتين الأعظم في النظام العالمي آنذاك، فالشبهة إنما جاءت من خلط مثل هذه الولايات الجزئية الخاصة بالإمامة العظمى والولاية العامة لدار الإسلام وأمته^(٩٣). فهنا يؤكد محمد عمارة على ضرورة فهم سياق الحديث الذي عُده نبوءة وليس دليلاً على شرعية تحريم تولي المرأة للولاية العامة الذي اثبتته السياق التاريخي للامة الاسلامية^(٩٤).

الخاتمة:

في الختام يمكن الإشارة الى ابرز ما جاء في هذه الدراسة. وكما يلي :

- باتت قضايا المرأة وتحسين أوضاعها الاجتماعية والمناداة بمساواتها مع الرجل، تعد من القضايا المهمة التي تستحوذ على اهتمام جهات متعددة خلال السنوات الماضية . فقد عانت المرأة المسلمة والمرأة العربية عموماً أوضاعاً اجتماعية ظالمة في مراحل تاريخية متعاقبة سبقت ظهور الإسلام . إذ قرنت المرأة في مجتمعات الجاهلية بالعار والخطيئة والحظ السيئ . ولما جاء الإسلام غيّر جذرياً تلك الصورة القاتمة عن المرأة. وأرسى حقوقها المشروعة التي تتماشى مع روح الإسلام وعدالته .
- في العقود الاخيرة عانت المرأة في العالم الاسلامي من تأثير تيارين متناقضين. تيار تعريبي يرى ضرورة استلهاً التجربة الغربية في التعامل مع قضايا المرأة. ومنحها

- مساحات واسعة من الحرية والتحرر من القيود الدينية والاجتماعية. وتيار إسلامي متشدد يحاول التضييق على المرأة في كل أمورها. بدعوى الالتزام بالشرع الإسلامي.
- برز الدكتور محمد عمارة كأحد الداعين الى انصاف المرأة والتوفيق بين النموذجين التغريبي المتحرر والديني المتشدد في تعاملهما مع قضايا المرأة.
 - يُعد محمد عمارة من ابرز المفكرين الاسلاميين المعاصرين. وهو مؤلف ومحقق وعضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر في مصر.
 - يمكن القول أن مدارك محمد عمارة ونضوجه الفكري بدأت بالتبلور منذ مراحل مبكرة من حياته. كما شغلت القضايا العربية والاسلامية والادبية حيزاً مهماً من تفكيره. بدا ذلك واضحاً في كثير من كتاباته وخطبه ومواقفه الكثيرة والمتنوعة. وخلال مراحل حياته المختلفة.
 - بعد تحوله من الاتجاه اليساري الى الاتجاه الاسلامي، انتمى محمد عمارة الى (المدرسة الوسطية) التي وصفها بأنها " وسطية جامعة تجمع بين عناصر الحق والحق والاقطاب المتقابلة ". كما اتسمت افكاره بكونها تجديدية وأحيائية. سعى من خلالها تقديم مشروع حضاري يخدم الامة الاسلامية. وقد استفاد من رصيده الفكري الثري عندما تناول قضايا المرأة
 - اهتم محمد عمارة بقضايا التراث الاسلامي. وعمل على ازالة الشبهات حول الاصول والثوابت في الفكر الاسلامي. ومن تلك القضايا التي اثارت اهتمامه الكبير قضايا المرأة.
 - سعى محمد عمارة الى توضيح وتشخيص الفهم الخاطئ بقضايا المرأة، المستندة الى تعاليم الدين أو العادات والتقاليد والاعراف الاجتماعية، انطلاقاً من النموذج الوسطي الذي تبناه. كما جاهد لأنصافها ورد شبهات التيار التغريبي الذي قدم صوراً متطرفة لمكانة المرأة في الشريعة الاسلامية.

الهوامش

(١) سورة الحجرات ، الآية (١٣) .

- (٢) للتفاصيل ينظر : محمد سعيد رمضان البوطي ، المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرياني ، ط ٢ ، دار الفكر (بيروت ، ٢٠٠٢) ، ص ص ١٧٦-١٨٠ .
- (٣) ينظر : عبد الحميد اسماعيل الأنصاري ، قضايا المرأة بين تعاليم الإسلام وتقاليده المجتمع ، دار الفكر العربي (القاهرة ١٩٩٩) ، ص ص ٣٢ وما بعده .
- (٤) سهيلة زين العابدين ، المرأة المسلمة وتحديات العولمة ، مكتبة العبيكان ، (الرياض ٢٠٠٣) ، ص ص ٨٠-٨٧ ؛ أحمد صالح جرادات ، حقوق المرأة في الإسلام ، وزارة الثقافة الأردنية (عمان ٢٠٠٠) ، ص ص ١٢٣-١٢٩ .
- (٥) البوطي ، المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرياني ، مصدر سابق ، ص ص ٧٥ وما بعدها ؛ عبد الرحمن عمر بكري الخطيب ، الحجاب . حقوق المرأة التي انتقصها بعض المسلمين ، دار الكونز (دمشق ٢٠٠٤) ، ص ص ١٨٨-١٩٧ .
- (٦) مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقع والقانون ، مطبعة جامعة دمشق ، (دمشق، ١٩٦٣).
- (٧) للتفاصيل عن موقف الفقهاء القدامه والمحدثين من المشاركة السياسية للمرأة ينظر : إيمان رمزي خميس بدران ، دور المرأة السياسي في الإسلام "دراسة مقارنة" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا (جامعة النجاح ٢٠٠٦).
- (٨) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ، ج ٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ٤٥٢ وما بعدها .
- (٩) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص ٥٢٦ .
- (١٠) ينظر : محسن عبد الحميد ، جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه ، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٨٣) ، ص ١٥٢ .
- (١١) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، ج ٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، ١٩٧٢) ، ص ص ٧٤-٧٥ .
- (١٢) ينظر : أحميدة النيفر ، المسألة النسوية في بعدها الثقافي . قراءة في وثائق مغاربية ، ضمن ندوة : المرأة وتحولات عصر جديد ، دار الفكر (دمشق ، ٢٠٠٢) ، ص ص ١٧٧-١٨٦ .
- (١٣) محمد رشيد رضا ، نداء للجنس اللطيف والمولد النبوي الشريف ، مطبعة المنار (القاهرة ، د.ت) ، ص ص ٢٠-١٨ . وللمزيد من التفاصيل عن مواقف المفكرين الاسلاميين من قضايا المرأة ينظر : ميساء صباح حامد الحاج سعيد ، المرأة في فكر رواد حركة النهضة العربية الحديثة ، دراسة تاريخية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية (جامعة الموصل ، ٢٠٠٦) ص ١٩١ وما بعدها .
- (١٤) للتفاصيل عن موقف الحركات الإسلامية المعاصرة من النشاط السياسي للمرأة ينظر : بشار حسن يوسف ، " المرأة في فكر الحركات الإسلامية المعاصرة في المشرق العربي " ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد السابع ، العدد الثالث ، حزيران ، ٢٠٠٨ ، ص ص ١٥-٢٠ ؛ ساجد العبدلي ، نائب رئيس الحركة السلفية في الكويت ، مقال منشور في موقع بوابة العرب على الرابط: www.arbgate.com .

- (١٥) ينظر : مصطفى الطحان ، تحديات سياسية تواجه الحركة الاسلامية ، تقديم محمد عمارة ، ط٢ ، دار التوزيع والنشر الاسلامية (القاهرة ، د.ت) ، ص ص ١٢٠-١٢١ .
- (١٦) يوسف ، المرأة في فكر الحركات الاسلامية المعاصرة ، مصدر سابق، ص ص ١٣-٢٠
- (١٧) المصدر نفسه ، ص ٢١
- (١٨) محمد عبد القادر أبو فارس ، حقوق المرأة المدنية والسياسية في الإسلام ، دار الفرقان (عمان ٢٠٠٠) ، ص ص ٩٧-٩٨ .
- (١٩) محمد عمارة ، الإسلام والسياسة والرد على الشبهات العلمانية، سلسلة هذا هو الإسلام العدد (٥)، مكتبة الشروق الدولية، (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص ١٦٢ .
- (٢٠) مجدي رياض، رحله في عالم الدكتور محمد عمارة، مؤسسه دار الكتاب الحديث، (بيروت ، ١٩٨٩)، ص ص ٥١-٥٣
- (٢١) المصدر نفسه، ص ٥٢
- (٢٢) ينظر: حديث الذكريات مع د. محمد عمارة، برنامج علماء مبدعون، اعداد جاسم المطوع، على الموقع الالكتروني: www.youtub.com
- (٢٣) محمد عمارة، ثورة ٢٥ يناير وكسر حاجز الخوف، دار السلام للطباعة والنشر (القاهرة، ٢٠١١)، ص ١٣٩، رياض، رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة، مصدر سابق، ص ص ٥٦-٥٧
- (٢٤) عبد الرزاق عيسى، محمد عمارة داعية الاحياء والتجديد الاسلامي، دار القلم، (دمشق، ٢٠١١)، ص ١٣
- (٢٥) للتفاصيل عن حياة الدكتور محمد عمارة الاجتماعية والاسرية ينظر: حوار مع المفكر الاسلامي د. محمد عمارة. اعداد : نور الهدى سعد، على الموقع الالكتروني: www.isiamweb.net
- (٢٦) ينظر: محمد عمارة: رحلة باحث مصري من الماركسية الى الاسلام، مقال منشور على شبكة الاخبار العربية BBC NEWS عربي، بتاريخ ١/ اذار/ ٢٠٢٠، على الموقع: www.bbc.com/Arabic
- (٢٧) السيرة الذاتية للدكتور محمد عمارة، في كتاب: محمد عمارة، الاسلام والامن الاجتماعي، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٩٨)، ص ١٢٥
- (٢٨) ينظر: محمد محمود كالو، الحارس اليقظ على تراث الاسلام. الاستاذ الدكتور محمد عمارة، دار المجد، (القاهرة، ٢٠٢٠)، ص ٤
- (٢٩) طه العيسوي، هذه سيرة فارس النقد الاسلامي وحارس تعاليمه، مقال منشور على شبكة عربي 21، على الموقع: www.arabi21.com
- (٣٠) ينظر: يحيى الجاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، تقديم المستشار طارق البشري، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠١٨)، ص ٩٨
- (٣١) كالو، الحارس اليقظ، مصدر سابق، ص ١٥
- (٣٢) السيرة الذاتية للدكتور محمد عمارة، مصدر سابق، ص ص ١٢٥-١٢٦
- (٣٣) كالو، الحارس اليقظ، مصدر سابق، ص ٧
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ١٨

- (٣٥) الأزهر ينعي الدكتور محمد عمارة. عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، مقال منشور في صحيفة المصري اليوم الالكترونية، على الموقع: www.almasryalyoum.com
- (٣٦) بشر بن فهد البشر ، اساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة ، ط١ ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، (الرياض ، ١٩٩٤) ، ص ص ١٤-١٥ .
- (٣٧) مكي ، المصدر السابق ، ص ٥
- (٣٨) مريم عبد السلام بكر ، " شهادة النساء من منظور فقهي " ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، العدد الثاني والثلاثون، الجزء الثالث، العدد ٣٢ ، ٢٠١٧ ، ص ٢٦-١٠
- (٣٩) محمد عمارة ، الغرب والاسلام أين الخطأ واين الصواب، مكتبة الشروق الدولية، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص ص ١٧٧-١٧٨ .
- (٤٠) المصدر نفسه، ص ١٨٠ .
- (٤١) للتفاصيل ينظر: عماد محمد عمارة يس، حركة تحرير المرأة في ميزان الاسلام، دار اليقين للنشر والتوزيع،(المنصورة، ٢٠٠٣) ؛ عبد الكريم سروش ، مسألة المرأة بين القوانين الفقهية ونظام القيم الاخلاقية، ترجمة: علي عباس الموسوي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،(بيروت ، ٢٠٠٨)، ص ٢٥ .
- (٤٢) اميمة عبد اللطيف ، ماريا اوتاوي ، المرأة في الحركات الاسلامية : نحو نموذج اسلامي لنشاط المرأة ، مركز كارينغي للشرق الاوسط ، (بيروت ، ٢٠٠٧)، ص ٤ .
- (٤٣) محمد عمارة ، هل الاسلام هو الحل ؟ لماذا وكيف ؟ ، ط٢، دار الشروق ، (القاهرة ، ١٩٩٨)، ص ٣٧ .
- (٤٤) بلال فتيحة، المرأة في الفكر الاسلامي المعاصر. بين الشريعة و التطبيق، رسالة ماجستير، جامعة وهران ، كلية العلوم الاجتماعية ، ٢٠١٤ ص ٩٠ .
- (٤٥) عمارة، الغرب والاسلام، مصدر سابق، ص ١٦٢ .
- (٤٦) محمد عمارة، الوسيط في المذاهب والمصطلحات الاسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٠)، ص ص ١٦٢-١٦٣ .
- (٤٧) سورة الاحزاب ، الاية ٥٩ .
- (٤٨) محمد سعيد العشماوي ، معالم الاسلام ، د . ط (القاهرة ، ١٩٨٩) ، ص ص ١٢٤-١٢٥ .
- (٤٩) عبد الرحمن بن ابي بكر ابو الفضل ، اسباب نزول القرآن ، ط١ تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٠) ، ص ١٥٢ .
- (٥٠) محمد عمارة ، شبهات واجابات حول مكانة المرأة في الاسلام، نهضة مصر للنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص ص ٩٤-٩٥ .
- (٥١) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .
- (٥٢) سورة النساء : جزء من الآية ١١ .
- (٥٣) عبد الصبور مرزوق واخرون ، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، (القاهرة ، ٢٠٠٢) ، ص ص ١٢٥ .

- (٥٤) عمارة ، شبهات واجابات ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .
- (٥٥) عمارة ، الاسلام والغرب اين الخطأ واين الصواب ، ص ١٧٨ .
- (٥٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .
- (٥٧) عمارة ، هل الاسلام هو الحل، مصدر سابق، ص ١٥٢ .
- (٥٨) سورة البقرة ، الاية ٢٨٢ .
- (٥٩) عمارة ، حقائق وشبهات، مصدر سابق، ص ١٢٠ .
- (٦٠) مرزوق واخرون، حقائق الاسلام ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
- (٦١) المصدر نفسه ، ص ٣٨٢ .
- (٦٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .
- (٦٣) محمد عمارة ، التحرير الاسلامي للرد على شبهات الغلاة ، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص ص ٨٩-٩١ .
- (٦٤) سورة العلق ، الاية ١-٥ .
- (٦٥) مرزوق واخرون، حقائق الاسلام، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .
- (٦٦) المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .
- (٦٧) عمارة، حقائق وشبهات، المصدر السابق، ص ١٥٨ .
- (٦٨) المصدر نفسه، ص ١٦١ .
- (٦٩) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٢٨ .
- (٧٠) سورة النساء، الآية ٣٢ .
- (٧١) عمارة، حقائق وشبهات، المصدر السابق ، ص ١٣٤ .
- (٧٢) محمد عمارة ، ردود على الشبهات ، برنامج الرد الجميل ، قناة اقرأ الفضائية ، تم نشره في ١٤ / ٩ / ٢٠١١ .
- (٧٣) المصدر نفسه .
- (٧٤) سورة النساء، جزء من الآية ٣ .
- (٧٥) عمارة ، ردود على الشبهات، المصدر السابق .
- (٧٦) سورة النساء ، الآية ١٢٨ .
- (٧٧) عمارة ، حقائق وشبهات، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
- (٧٨) سورة النساء، الآية ١٣٠ .
- (٧٩) عمارة ، حقائق وشبهات ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .
- (٨٠) المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .
- (٨١) سورة النساء ، الآية ٣٥ .
- (٨٢) عمارة ، حقائق وشبهات، المصدر السابق، ص ص ١٦٨-١٦٩ .
- (٨٣) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

-
- (٨٤) محمد حميد الله الحيدر ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط٦ ، دار النفائس ، (عمان ، ١٩٨٧) ، ص ١٨٩ .
- (٨٥) سورة النساء ، الآية ٢١
- (٨٦) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٢٨ .
- (٨٧) سورة ال عمران ، جزء من الآية ٣٦ .
- (٨٨) عمارة ، التحرير الاسلامي للمرأة، نهضة مصر للطباعة والتوزيع ، (القاهرة ، د. ن) ، ص ٦-٧ .
- (٨٩) سورة التوبة ، الآية ٧١ .
- (٩٠) عمارة ، التحرير الاسلامي ، المصدر السابق ، ص ٩-١١ .
- (٩١) عمارة ، التحرير الاسلامي ، المصدر السابق ، ص ١٤ .
- (٩٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي، باب كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى كِشْرِى وَقَيْصَرَ، ١٠/٦ رقم ٤٤٢٥ .
- (٩٣) عمارة ، حقائق وشبهات ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ .
- (٩٤) المصدر نفسه، ص ١٤٨ .